الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

إسم المادة: المدخل إلى علوم القرآن

إسم الدكتور: د. بكر الزاملي

الأكاديمية العربية الدولية – منصة أعد

مقدمة عامة:

للقرآن الكريم من الدور العظيم في تثبيت الإنسان والمجتمع على صراط النجاة المستقيم. وقد ورد العديد من الآيات القرآنية والروايات المباركة التي أكّدت على أهمّيّة دراسة القرآن الكريم والغور في أسرار آياته.

فالتحدّيات العالمية التي تواجهها الأمة اليوم، والغزو الثقافي والفكري، الذي يحيط بالأمة من كل اتجاه، يجعل من القرآن الكريم خير قائد ودليل، ومنبعاً للفكر الوضّاء الذي يستطيع أن ينقذ روحانية الإنسان، وكيانه ووجوده، ويبقي على ارتباطه المعنوي بالحق عز وعلا، بل إنّ محور بقاء دولة الحق ووجودها يبقى مرتهناً بالفهم الحقيقي لكتاب الله تعالى تمهيداً لتطبيقه في تربية الإنسان وإدارة المجتمع والناس...

ومن هنا يظهر الهدف من دراسة هذه المادة، علوم القرآن؛ فإنّه وبسبب الحاجة المتزايدة إلى فهم القرآن فهماً علمياً واعياً وعميقاً، كانت ضرورة دراسة مجموعة من العلوم الموصلة إلى ذلك، ومن أهمّها علوم القرآن.

لذلك سنبين في هذا المقرر ما نحتاج إلى دراسة وفهم ما يتعلق بالقران الكريم.

الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

محاور المادة:

١- تعريف القرآن الكريم وعلومه:

٢- نشأته وتطور علوم القرآن:

٣- رحلة تفسير القرآن الكريم وأشهر المفسرين:

٤- الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

٥- الفرق بين الحديث القُدسي والحديث النبوي:

٦- معنى الوحي لغة وشرعاً:

٧- أنواع الوحي وحالاته:

٨- المكي والمدني وخصائص كل منهما:

محاور المادة:

٩- ضوابط المكي ومميزاته الموضوعية وخصائصه:

١٠- ضوابط المدني ومميزاته الموضوعية وخصائصه:

١١- فوائد العلم بالمكي والمدني:

١٢- أسباب نزول القرآن الكريم، وصوره:

١٣- جمع القرآن وترتيبه:

١٤- مراحل جمع القرآن الكريم:

١٥- المحكم والمتشابه وأنواع المتشابهات في المتشابهات في القران الكريم:

١٦- الناسخ والمنسوخ وطرق معرفته وأنواعه وأحواله:

١٧- الإعجاز القرآني وأنواعه:

تعريف القرآن الكريم وعلومه:

تعريف علوم القرآن:

هو العلم الذي يتناول أحداث مختلفة متعلقة بالقرآن الكريم من حيث معرفة أسباب النزول وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، ومعرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه.

تعريف القرآن الكريم:

كلامُ اللهِ تعالى المُنزَّل على نبيه مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، المُعْجِز بلفْظه ومعناه، المُتعبَّدُ بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أَوَّلِ سورة الفاتحة إلى آخِرِ سورة الناس"

نشأته وتطور علوم القرآن:

- كان القرآن ينزل على سيدنا محمد ﷺ والنبي يتلوه على أصحابه ويعلمهم معانيه إذا أُشكل عليهم فهمه.
- ثم لم يأذن النبي للصحابة بكتابة شيء سوى القرآن إلا البعض القليل، وضل القرآن الكريم منقولا عن طريقة التلقين حتى عصر عثمان رضي الله عنه
- في عهد عثمان جمع القرآن في مصحف سمي بمصحف الإمام ووزع إلى أقطار الأمة
- ثم في خلافة علي أخذ بعض العلماء بتشكيل القرآن مثل أبو الأسود الدؤلي وهذه بداية علم إعراب القرآن
- استمر الأمر أن كان القرآن يتناقل معانيه من الصحابة بتفاوت حسب علمهم للقرآن الكريم.

رحلة تفسير القرآن الكريم وأشهر المفسرين:

اشتهر من الصحابة الكرام عبد الله ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت والخلفاء الأربعة بتفسير القرآن الكريم.

واشتهر من تلاميذ بن عباس في مكة سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة وطاوس الكيساني وعطاء بن أبي رباح ومن تلاميذ أبي بن كعب في المدينة زيد بن أسلم وأبو العالية ومحمد السدوسي.

ونقل من هؤلاء علم التفسير، وعلم غريب القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم المكي والمدني، وعلم الناسخ والمنسوخ، ولكن ظل معتمدا على الرواية بالتلقين.

ثم جاء القرن الثاني الهجري حيث بدأ فيه التدوين للتفسير واشتهر بعض التابعين وأتباعهم بالتدوين وكانوا من أئمة الحديث.

رحلة تفسير القرآن الكريم وأشهر المفسرين:

ثم نهج نهجهم جيل من العلماء وضعوا تفاسير متكاملة وفق ترتيب الآيات مثل محمد بن جرير الطبري.

فبدأ تاريخ التفسير بالرواية والتلقي ثم التدوين على أنه باب من أبواب الحديث ثم دون تدوينا مستقلا، وينقسم إلى قسمين: التفسير المأثور والتفسير بالرأي.

ثم ألف علي بن المدني شيخ البخاري في الناسخ والمنسوخ، وأبو عبيد القاسم في الناسخ والمنسوخ والقراءات، وابن قتيبة في مشكل القرآن.

ثم تتابعت التآليف في علوم القرآن المختلفة مثل غريب القرآن، وإعراب القرآن، وإعجاز القران.

الإمام الحوفي، فتأليفه في علوم القرآن "البرهان في علوم القرآن" جمع كل علوم القرآن في هذا الكتاب الذي له ٣٠ مجلدا، فيعتبر أول مؤلف في علوم القرآن، وتبعه الإمام ابن الجوزي وبدر الدين الزركشي في تدوين علوم القرآن وكذلك فعل المعاصرون.

الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

١. القرآن الكريم كلام الله أوحى به إلى رسول الله ﷺ وسلم بلفظه، وتحدَّى به أهل الفصاحة من العرب، فعجَزوا عن أن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ مثله، أو بسورة من مثله، ولا يزال التحدي قائمًا، فالقرآن معجزة خالدة إلى يوم الدين، والحديث القدسي لم يقَع به التحدي والإعجاز.

٢. القرآن الكريم لا يُنسَب إلا إلى الله تعالى، فيقال: قال الله تعالى، والحديث القدسي قد يُروى مضافًا إلى الله تعالى، وتكون النسبةُ إليه حينئذ نسبةَ إنشاءٍ، فيقال: قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى، وقد يروى مضافًا إلى رسول الله ﷺ، وتكون النسبة حينئذ نسبة إخبارٍ؛ لأنه ﷺ هو المخبر به عن الله تعالى، فيقال: قال رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربِّه عز وجل.

٣. جميع القرآن الكريم منقول إلينا بالتواتر، فهو قطعي الثبوت، وقد يكون الحديث القدسي صحيحًا، أو يكون حسنًا، أو يكون ضعيفًا، أو يكون موضوعًا.

الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

٤- القرآن الكريم من عند الله تعالى لفظًا ومعنًى، فهو وحي باللفظ والمعنى، والحديث القدسي معناه من عند الله، ولفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو وحي بالمعنى دون اللفظ، ولذا تجوزُ روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين.

٥- القرآن الكريم متعبَّدٌ بتلاوته، فهو الذي تتعيَّن القراءة به في الصلاة؛ والحديث القدسي لا يُجزئ في الصلاة، ويُثيب الله تعالى على قراءته ثوابًا عامًّا.

٦- القرآن الكريم لا يَمسُّه إلا المطهرون، أما الحديث القدسي فيمسه الطاهر وغيره.

٧- القرآن الكريم تَحرُم روايتُه بالمعنى، أما الحديث القدسي، فلا تَحرُم روايته بالمعنى.

الفرق بين الحديث القُدسي والحديث النبوي:

- عندما يروي النبي ﷺ الحديث القُدسي ينسبه إلى الله تعالى، ولكن في الحديث النبوي يرويه النبي عليه الصلاة والسلام دون أن ينسبه إلى الله تعالى.
- يختلف الحديث القُدسي عن النبوي من حيث الموضوع، حيث تتصف مواضيع الأحاديث القُدسية بكلام الله عز وجل مع مخلوقاته، والخوف والرجاء، والقليل من الأحكام التكليفية، أما الأحاديث النبوية تتطرق إلى المواضيع التي ذُكرت وأيضاً تتعلق بالأحكام الشرعية.
- تختلف الأحاديث النبوية عن القدسية من حيث العدد؛ فإنّ عدد الأحاديث القُدسية قليلٌ مقارنة مع عدد الأحاديث النبوية الكثير جداً.
- تعتبر الأحاديث القُدسية من السنة القولية؛ لأنّ معناها من الله تعالى، ولفظها من الرسول عليه الصلاة والسلام، لذلك لا يُتعبد بلفظه في الصلاة، والأحاديث النبوية هي قول الرسول ﷺ، وما ورد عنه من أفعال وتقرير.

مثال على الحديث القُدسي والحديث النبوي:

- مثال على الحديث القُدسي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: "إذا تقرَّب العبدُ إليَّ شِبرًا تقرَّبتُ إليه ذِراعًا، وإذا تقرَّب إليَّ ذِراعًا تقرَّبتُ منه باعًا، وإذا أتاني مَشيًا أتَيتُه هَروَلَةً"، (رواه البخاري).

- مثال على الحديث النبوي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ إن رسول الله ﷺ قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يأمن جاره بوائقه"، (صحيح مسلم)

معنى الوحي لغة:

الوحي في اللغة هو: الإعلام الخفي السريع، وهذا المعنى اللغوي للوحي يشمل:

١- **الإلهام الغريزي**: كالوحي إلى النحل؛ قال الله تعالى: {وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} [النحل: ٦٨].

٢- **الإلهام الفطري**: {كالوحي إلى أمّ موسى: وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ} [القصص: ٧].

٣- وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان: {وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ} [الأنعام: ١٢١].

٤- الإشارة السريعة على سبيل الرمز، كإيحاء زكريا عليه السلام لقومه: {فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم: ١١].

٥- وما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأنفال: ١٢٦].

معنى الوحي شرعاً وأنواعه:

وفي الشرع: إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده بكل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، بطريقة سرية خفية، غير معتادة للبشر.

أنواع الوحي:

للوحي أنواع ثلاثة، ذكرها الله تعالى في الآية الكريمة: {وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: ٥١].

١. **إلقاء المعنى في القلب**: وقد يعبّر عنه بالنّفث في الرّوع قال ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي: إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

٢. **الكلام من وراء حجاب**: وهو أن يسمع كلام الله من حيث لا يراه، كما سمع موسى عليه السلام نداء ربه من وراء الشجرة قال تعالى: {فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ} [القصص: ٣٠].

٣. **هو ما يلقيه ملك الوحي المرسل من الله تعالى إلى رسول الله**: فيراه متمثلا بصورة رجل أو غير متمثل، ويسمعه منه أو يعيه بقلبه، وهذا النوع الثالث أشهر الأنواع وأكثرها وقوعا، ووحي القرآن كلّه من هذا القبيل، وهو المسمّى:(الوحي الجلي) قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥].

حالات الوحي:

كان جبريل عليه السلام يأتي النبيّ ﷺ على حالات متنوعة:

١- فتارة يظهر للرسول في صورته الحقيقية الملكية، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: {لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى} [النجم: ١٨] قال: رأى جبريل في صورته، له ستمائة جناح.

٢- وتارة يظهر في صورة إنسان يراه الصحابة ويستمعون إليه، كما في حديث عمر رضي الله عنه الذي رواه البخاري: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر...»، وقال النبي ﷺ في آخر الحديث: «إنّه جبريل جاء يعلّمكم دينكم». وكان كثيرا ما يأتي في صورة (دحية الكلبيّ) الصحابي الجليل، وكان دحية من أجمل الصحابة.

٣- وتارة يهبط الوحي على رسول الله ﷺ خفية فلا يرى، ولكن يظهر أثر التّغيّر والانفعال على النبيّ ﷺ فيغطّ غطيط النائم، ويثقل ثقلا شديدا حتى قد يتصبّب جبينه عرقا في اليوم الشديد البرد، وقد يكون وقع الوحي على رسول الله كوقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه، وذلك أشدّ أنواعه، وربما سمع الحاضرون صوتا عند وجه رسول الله ﷺ كأنه دويّ النحل.

المكي والمدني وخصائص كل منهما:

منذ بداية نزول القرآن الكريم، والذي استمر لمدة ثلاثة وعشرين عاما تقريبا، وهذه المدة تنقسم إلى قسمين: مدة إقامة النبيّ ﷺ في مكة قبل الهجرة، ومدة إقامته في المدينة بعد الهجرة، ومن هنا تنوّع القرآن في مجموعه إلى مكي ومدني، وقد عني العلماء والرواة من سلفنا الصالح بتمييز هذين القسمين عن بعضهما واستخراج خصائص كل منهما.

للعلماء في تحديد المكي والمدني ثلاث اصطلاحات:

١ - أن المكّي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة ضواحيها، فيعتبر مكيّا ما أنزل على النبيّ ﷺ بمنى وعرفات والحديبية، كما يدخل في المدينة ضواحيها، فيعتبر مدنيا ما أنزل على النبيّ ببدر وأحد وسلع.

٢ - أنّ المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة،

٣ - أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة.

ضوابط المكي ومميزاته الموضوعية وخصائصه:

١- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

٢- كل سورة فيها لفظ " كلا " فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن، وذكرت ثلاثا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة.

٣- كل سورة فيها: يا أيها الناس وليس فيها : يا أيها الذين آمنوا فهي مكية ، إلا سورة الحج ففي أواخراها: يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى البقرة.

٥- كل سورة فيها آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة كذلك.

٦ - كل سورة تفتح بحروف التهجي كـ "الم" و "الر" و "حم" ونحو ذلك فهي مكية سوى الزهراوين: وهما البقرة وآل عمران، واختلفوا في سورة الرعد.

المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب:

هذا من ناحية الضوابط، أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يلي:

١- الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والآيات الكونية.

٢- وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلما، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.

٣- ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجرا لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية لرسول الله ﷺ حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم.

٤- قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة، بما يصخ الآذان، ويصعق القلوب، ويؤكد المعنى بكثرة القسم، كقصار المفصل إلا نادرا.

ضوابط المدني ومميزاته الموضوعية وخصائصه:

١- كل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.

٢- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى العنكبوت فإنها مكية.

٣- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية.

مميزات المدني الموضوعية وخصائصه:

هذا من ناحية الضوابط، أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي:

١- بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

٢- مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.

٣- الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين.

٤- طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها.

فوائد العلم بالمكي والمدني:

أ- **الاستعانة به في تفسير القرآن**: فإن معرفة مواقع النزول تساعد على فهم الآية وتفسيرها تفسيرا صحيحا.

ب- **تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها**: وذلك في أسلوب الدعوة إلى الله، فإن لكل مقام مقالا، ومراعاة مقتضى الحال من أخص معاني البلاغة، فلكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعاتها وأساليب الخطاب فيها، كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئاتهم.

جـ- **الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية**، فإن تتابع الوحي على رسول الله ﷺ ساير تاريخ الدعوة بأحداثها في العهد المكي والعهد المدني منذ بدأ الوحي حتى آخر آية نزلت، والقرآن الكريم هو المرجع الأصيل لهذه السيرة الذي لا يدع مجالا للشك فيما روي عن أهل السير موافقا له، ويقطع دابر الخلاف عند اختلاف الروايات.

أسباب نزول القرآن الكريم، وصوره:

يُقصد بسبب النزول: العلم الذي يُعنى بالبحث عن مكان أو زمان وقوع حادثة تحدَّثت عنها آية أو سورة؛ كحدوث خطأ ما، أو وقوع خصومة ما، أو سؤالٍ حصل في الماضي أو سيحصل في المستقبل، وهكذا.

صور أسباب نزول القرآن الكريم:

١. **وقوع حادثة**: فتنزل الآيات على الرسول -عليه السّلام- لتبيّن السبب الخاصِّ المُتعلّق بها، ومثال ذلك حادثة الإفك، فقد نزلت الآيات من سورة النور بعد تلك الحادثة، وفيها أحكامٌ للمؤمنين ولتبرأة السيدة عائشة.

٢. **الإجابة على السؤال**: فالكثير من الأسئلة التي كانت تُوجّه للرّسول -عليه الصلاة السلام- في أمرٍ معيّن، وكان ينزل الوحي جبريل -عليه السلام- بالآيات التي تجيب عن هذه الأسئلة، وتبدأ غالباً بـِ: "يسألونك عن"، ومن الأمثلة على ذلك السؤال عن مشاركة الأيتام، وأحكام الحيض، والأحكام المتعلقة بشارب الخمر، وغيرها من الأمثلة التي نزل فيها القرآن بالإجابة عليها.

جمع القرآن وترتيبه:

إن جمع القرآن في مصحف واحد قد مر **بثلاث مراحل** كما يلي:

المرحلة الأولى: في عهد النبي ﷺ:

كان جمع القرآن في عهده النبوة قد تم **بطريقتين**:

الطريقة الأولى: جمع القرآن في صدور الصحابة حيث كان الكثير من الصحابة يحفظون القرآن.

الطريقة الثانية: كتابة القرآن في صحف متفرقة حيث كان الصحابة يكتبون القرآن بأمر الرسول الله ﷺ على العسب وهي: جريد النخل، وعلى اللخاف وهي: الحجارة الرقيقة، وعلى الرقاع وهي: الأوراق وقطع الأديم وهي: الجلد وعظام الأكتاف، والأضلاع، وهكذا انقضى عهد النبوة ولم يجمع القرآن في صحف ولا في مصاحف، بل كتب منثورًا بين الرقاع والعظام ونحوها.

مراحل جمع القرآن الكريم:

المرحلة الثانية: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -:

إن استشهاد الكثير من الصحابة من حفاظ القرآن لكريم في معركة اليمامة هو الذي جعل عمر - رضي الله عنه - يشير على أبي بكر الصديق بجمع القرآن، فأمر الصديق - رضي الله عنه - زيد بن ثابت بجمع القرآن، فأخذ زيد يتتبع القرآن من العسب واللخاف وصدور الرجال فجمع القرآن كله في مصحف، فكانت هذه الصحف عند أبي بكر الصديق حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى مات ثم عند حفصة.

المرحلة الثالثة: جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه -:

إن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقرؤون القرآن بعده على الأحرف السبعة التي أقرأهم رسول الله ﷺ بإذن الله عز وجل إلى أن وقع الاختلاف بين القراء في زمن عثمان رضي الله عنه، وذلك بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجًا وعظم الأمر فيه، وكتب الناس بذلك من الأمصار إلى عثمان، وناشدوه الله تعالى في جمع الكلمة، وتدارك الناس قبل تفاقم الأمر، وقدم حذيفة بن اليمان من غزوة أرمينية، فشافهه بذلك فجمع عثمان عند ذلك المهاجرين والأنصار، وشاورهم في جمع القرآن في المصاحف على حرف واحد؛ ليزول الخلاف، وتتفق الكلمة، واستصوبوا رأيه، وحضوه عليه، ورأوا أنه من أحوط الأمور للقرآن، فحينئذ أرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، فأرسلت إليه، فأمر زيد بن ثابت، والرهط القريشيين الثلاثة فنسخوها في المصاحف، وبعث بها إلى الأمصار، وأمر بحرق ما سوى ذلك من المصاحف، وهكذا حفظ الله كتابه العزيز من التحريف.

المحكم والمتشابه:

لفظان متقابلان، إذا ذُكِرَ أحدهما استدعى الآخر ضرورة، وهما بحثان رئيسان من أبحاث علوم القرآن، أفاض العلماء القول فيهما، وتفاوتت أنظارهم في تعريفهما وحقيقتهما، وهما كذلك بحثان مهمان من أبحاث أصول الفقه.

المحكم: من حيث اللغة، مأخوذ من حَكَمْتُ الدابة وأحكمتها، بمعنى أحكمت وثاقها، ومنعتها من التفلُّت والهرب، وإحكام الكلام: إتقانه وتمييز الصدق فيه من الكذب.

أما اصطلاحًا، فقد اختلف في تعريفه، فقال بعضهم: هو ما عُرِفَ المراد منه؛ وقال آخرون: هو ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً؛ وعرَّفه قوم بأنه: ما استقلَّ بنفسه، ولم يحتج إلى بيان، وخلاصة هذه التعريفات إلى معنى واحد، هو معنى البيان والوضوح.

المتشابه: من حيث اللغة مأخوذ من الشبه والتشابه، تقول: فلان يشبه فلانًا، أي: يماثله، وله من الصفات ما للآخر، وعلى هذا، فتشابه الكلام تماثله وتناسبه، بحيث يصدِّق بعضه بعضاً.

أما اصطلاحًا، فعرفه بعضهم بأنه: ما استأثر الله بعلمه، وعرفه آخرون بأنه: ما احتمل أكثر من وجه، وقال قوم: ما احتاج إلى بيان، بردِّه إلى غيره.

الفرق بين الآيات المحكمات والمتشابهات:

من حيث المعنى: الآيات المُحكمات هي الآيات البيّنة، واضحة المعاني، وليس فيها أيُّ التباسٍ في المعنى، وهذا هو غالبُ آيات القرآن الكريم، وتعدّ الآيات المُحكمات أصل الكتاب كما أخبر الله -تعالى- عن ذلك في قوله: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ).[٣] بينما الآيات المتشابهات هي التي يلتبس فيها المعنى على بعض الناس فلا يعلمه إلّا العلماءُ منهم وبعضُ هذه المتشابهات لا يعلمها إلّا الله -سبحانه وتعالى-.

من حيث التعامل مع تلك الآيات: أهلُ الحق يُرجعون المتشابه إلى المُحكم ويقولونَ أنَّ كُله من عند الله ولا تعارضَ ولا تناقضَ بين آياته، أمّا غيرهم فيتبّعون المتشابه بغاية معارضة المُحكم، وغرضهم من ذلك الفتنة والسعي في التحريف والإضلال، بالإضافة إلى إيقاع الحيرة في قلوب الناس وعقولهم وإلحاق ما لا يليقُ بالله -تعالى- وبرسوله الكريم -صلّى الله عليه وسلّم-.

من حيث نتيجة التعامل مع تلك الآيات: من يُرجع المتشابه إلى المُحكم؛ أي أعاد التباس المعنى إلى المعاني الواضحة فقد اتّبع سبيل الهُدى وأفلح ونجح؛ بينما من تنكَّر لذلك ولم يُرجعه فقد اتّبع طريق الضلال.

أنواع المتشابهات في القرآن الكريم:

المتشابه من ناحية اللفظ: هو الذي حدثَ فيه الغموض نتيجة اللفظ، وينقسمُ هذا النوع إلى: متشابهٌ لفظي راجعٌ إلى الألفاظ المُفردة: والسبب فيه إمّا غرابةٌ في اللفظ أو اشتراك هذا اللفظ في عدّة معانٍ.

متشابهٌ لفظي راجعٌ إلى جُملة الكلام وتركيبه: من بسطٍ للمعنى أو اختصارٍ له أو من ناحية الترتيب. المتشابه من ناحية المعنى: يأتي المتشابه من ناحية المعنى في الأمور المتعلّقة بيوم القيامة وأهواله، والأمور التي قد لا يتصوّرها العقل البشري، ونعيمُ أهلِ الجنة وعقاب أهل النار.

المتشابه من ناحية اللفظ والمعنى معاً: وله عدةُ امثلة مبسوطة في كتاب الله -تعالى-، ومن أمثلته: قوله -تعالى-: (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ)،[٥] فالذي لا يعرفُ أحوال العرب في جاهليتهم لن يتمكنَ من معرفة المعنى المقصود، فالمقصود ربا النسيئة الذي تعامل به العرب في جاهليتهم.

الناسخ والمنسوخ:

النسخ: هو رفع الحكم الشرعي المتقدم بخطاب متأخر بحيث لو لم يرد لكان الحكم الأول باقياً. وأركانه ثلاثة:

١- **الناسخ** وهو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيما أذن الله به، وعليه فلا يمكن لأحد كائناً من كان أن يدعي نسخ حكم شرعي إلا ببيان من الكتاب أو السنة.

٢- **المنسوخ عنه**: وهو الحكم المتقدم.

٣- **المنسوخ إليه**: وهو الحكم المتأخر، مثاله:

مجال النسخ: الأوامر والنواهي الشرعية فحسب، أما الاعتقادات والأخلاق وأصول العبادات والأخبار الصريحة التي ليس فيها معنى الأمر والنهي، فلا يدخلها النسخ بحال.

طرق معرفة الناسخ والمنسوخ:

النقل الصريح عن النبي صلى الله عليه وسلم: قوله: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزروها) رواه مسلم.

أو الصحابي: قول أنس رضي الله عنه في قصة أصحاب بئر معونة: ونزل فيهم قرآن قرأناه ثم نُسخ بَعْدُ (بلِّغوا عنا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضيَ عنا ورضينا عنه) رواه البخاري.

أنواع النسخ:

١. **نسخ القرآن بالقرآن**: ومثاله نَسْخُ قوله تعالى: {يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس} (البقرة:٢١٩) فقد نسختها آية: {إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه} (المائدة:٩٠) وهذا النوع من النسخ جائز بالاتفاق.

٢. **نَسْخُ السنة بالقرآن**: كنسخ التوجُّه إلى قبلة بيت المقدس، الذي كان ثابتًا بالسنة بقوله تعالى: {فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام} (البقرة:١٤٤). ونَسْخُ وجوب صيام يوم عاشوراء الثابت بالسنة، بصوم رمضان في قوله تعالى: {فمن شهد منكم الشهر فليصمه} (البقرة:١٨٥).

٣. **نَسْخُ السنة بالسنة**: ومنه نسخ جواز نكاح المتعة، الذي كان جائزًا أولاً، ثم نُسخ فيما بعد؛ فعن إياس بن سلمة عن أبيه، قال: (رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس في المتعة ثم نهى عنها) رواه مسلم، وقد بوَّب البخاري لهذا بقوله: باب نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة آخراً.

أحوال النسخ في القران:

الأول: نسخ التلاوة والحكم معًا، ومثاله حديث عائشة قالت: (كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحُرمن، ثم نُسخن بخمس معلومات) رواه مسلم.

الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، ومثاله قوله تعالى: {الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين} (الأنفال:٦٦) فهذه الآية نسخت حكم الآية السابقة لها مع بقاء تلاوتها، وهي قوله تعالى: {يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون} (الأنفال:٦٥).

الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، ومنه ما سبق في حديث عائشة رضي الله عنها: (ثم نسخن بخمس معلومات) فإن تحديد الرضاع المحرِّم بخمس رضعات، ثابت حكمًا لا تلاوة.

إعجاز القرآن:

المعجزة: هي أمرٌ خارق للعادة، مقترن بالتحدّي.

في الاصطلاح: تفرّد القرآن الكريم وتميّزه بأعلى درجات الفصاحة والبلاغة والبيان، بحيث يعجز البشر جميعهم عن الإتيان بحرفٍ من حروفه، وقد تحدّى الله -تعالى- العرب عندما أنزل عليهم هذا القرآن، وقد كانوا يشتهرون بفصاحتهم وبلاغتهم، فجاء القرآن معجزاً لهم، وإنّ الله -تعالى- لما تحدّى العرب بالإتيان بمثل القرآن الكريم؛ تحدّاهم على ثلاثة مراحل، وهي:

- التّحدّي بالقرآن كاملاً قال الله -تعالى-: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا).
- التّحدّي بإتيان عشر سور من سور القرآن الكريم قال الله -تعالى-: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).
- التحدّي بإتيان سورة واحدة من سور القرآن الكريم قال الله -تعالى-: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)، ولكنهم عجزوا عن ذلك جميعاً ولم يستطيعوا أن يأتوا بشيء من ذلك.

أنواع الإعجاز القرآني:

الإعجاز البياني أو اللغوي: إعجاز القرآن بكلماته وبألفاظه، وجمال أسلوبه ونظمه، وبلاغة تراكيبه، وترابط آياته، وتنوع أساليبه ما بين التقديم والتأخير، والنفي والإثبات، والحقيقة والمجاز، والتخصيص والتعميم، وغير ذلك مما جعله كتاباً خالداً لا يتّسم بِسِمات كلام البشر أبداً، وقد أعجز الكتّاب والأدباء وشعراء العصر الجاهلي ومن بعدهم إلى زماننا هذا وحتى قيام الساعة، وخير شهادة على فصاحة وبلاغة القرآن الكريم عندما تأتي الشهادة من عدوّ، فهذا الوليد بن المغيرة يقول في القرآن الكريم: "فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه".

والأمثلة على الإعجاز البياني واللغوي كثيرة لا حصر لها، ومنها: الاختلاف في المعنى في كلمتي الرؤيا والأحلام التي يَظنّ البعض أنها كلمتان مترادفتان، ولكن يتّضح أن هناك ثمة فرق بينهما عندما قال الله -تعالى-: (يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ* قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ)،[٦] فالحلم: هو ما يراه النائم مُشوّشا غير واضح، أمّا الرّؤيا فهي الواضحة الثابتة ولا تشويش فيها وتكون صادقة.

أنواع الإعجاز القرآني:

الإعجاز العلمي: وهو إخبار القرآن الكريم عن حقائق وظواهر كونية وعلمية ثبتت في العلوم التجريبية، ولم تكن مدركة في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- بالوسائل البشرية، وأثبتها العلم الحديث، ممّا أكّد صدق القرآن الكريم، وأنّه ليس من صنع البشر، وآيات القرآن الكريم المشتملة على هذا النوع من الإعجاز كثيرة، منها قول الله -تعالى-: (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ)، فقد أثبت العلم الحديث قانون الجذب الكوني بين الكواكب الكونية، ممّا يفسّر حركة الأجرام والكواكب السّماوية، وأنّ الله -تعالى- في نهاية الزّمان سيُعطّل هذه القوانين بإذنه، ويختلّ توازن الكون.

الإعجاز الغيبي: وهو إخبار القرآن الكريم عن أمور غيبية لم تكن وقت نزول الآيات، سواءً كان إخباره عن أخبار الأمم السابقة، أو إخباره عن أمور مستقبلية لم تحدث، أو إخباره عن أمور في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يشهدها النبي، ولمّا وقعت فيما بعد ثبت صدق القرآن الكريم، ومثال ذلك: سورة المسد التي أخبر الله -تعالى- فيها عن مصير أبي لهب وزوجته، وموتهما على الكفر، وقد كان ما نزلت به الآيات.

أنواع الإعجاز القرآني:

الإعجاز التشريعي: إعجاز القرآن الكريم بتشريعاته وأحكامه التي جاءت على نحو شامل كامل لا نقص فيها ولا خلل ولا تعارض، وتشمل جوانب الحياة جميعها، فهي تنظّم حياة الأفراد والجماعات والدول، مراعية الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والفقير والغني، والحاكم والمحكوم، في شتى المجالات الدينية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية.

ومن الأمثلة على الإعجاز التشريعي: تشريع الزواج لتنظيم العلاقة بين الذكر والأنثى، ولاستمرار بقاء النسل وديمومة الحياة، فشرع الله -تعالى- جملة من الحقوق والواجبات تجب على الزوج والزوجة كليهما؛ لتنظيم سير الحياة بينهما، قال الله -تعالى-: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ).

هذا ما تيسر بيانه في هذه المحاضرة في المدخل إلى علوم القرآن، والله ولي التوفيق.